الأسرة وصراع الأجيال في الوسط العربي

حمد الله ربيع

تلخيص:

من الظواهر الاجتماعية البارزة في المجتمع العربي الإسرائيلي اليوم ظاهرة "صراع الأجيال". هذه الظاهرة توجد في كل المجتمعات غير أنها متفاوتة بحكم حجم التغير الاجتماعي الذي يمر به المجتمع ويؤثر على العلاقات الاجتماعية بين الآباء والأبناء. شكل الصراع وطبيعته له ميزات تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر وذلك بحكم الظروف التي يعيشها كل مجتمع وبحكم المبنى الاجتماعي والأسري ومنظومة المبادئ والمفاهيم التي يتمسك بها ويسير عليها، لذلك لا بد من فهم صراع الأجيال في كل مجتمع على حدة من أجل تحديد طبيعة وشكل هذا الصراع. الأسرة العربية في إسرائيل تمر بتغيرات سريعة وتفقد من وظائفها يوما بعد يوم. لقد أصبحت الفجوة تزيد بين عالم الآباء وعالم الأبناء، من الناحية الفكرية، المبدئية والعاطفية. السؤال الذي تريد هذه الدراسة أن تجيب عليه هو: هل يمكن اعتبار "صراع الأجيال" في الأسرة العربية "قضية" تهدد مبنى ووظيفة الأسرة، أم أنها "ظاهرة" وظيفية متكيّفة مع تغيّر المجتمع؟

مقدمة

يرى علم الاجتماع في "صراع الأجيال" ظاهرة اجتماعية عادية في كل مجتمع متطور وحديث، لأنه يؤمن بأنه لكل إنسان رأي وموقف وحرية شخصية في اختيار أسلوب حياته وتفكيره. هذه الحرية من شأنها أن تؤدي إلى نشوء الخلافات بين الآباء وبين الأبناء، وهو الأمر الذي يعتبر – بالنسبة لعلماء الاجتماع – رد فعل طبيعي لطبيعة الاختلافات بين الجيلين. هذا لا يعني أن صراع الأجيال يعتبر ظاهرة طبيعية، بل يعتبر "أزمة اجتماعية" ملحّة تحاول العلوم الاجتماعية والسلوكية إيجاد الحلول لها رغم بديهية تواجدها في المجتمعات الحديثة سريعة التغير. "فلسفة الحياة" عند أبناء الجيلين تكون مختلفة وتحدد غالبا سلوكيات وأفكار كل منهما. الاختلاف في أوجه النظر في أمور الحياة يرجع إلى تمسّك كل من جيل الآباء وجيل الأبناء بأفكار، قيم، مفاهيم، مبادئ ومواقف تربّوا ونشئوا عليها منذ نعومة أظافرهم، وترعرعوا عليها في بيئاتهم الاجتماعية المختلفة، فلكل جيل توجهاته الحياتية ومنهجه الخاص المتكيف مع روح العصر الذي يعيشه (Isaacs, 1961).

صراع الأجيال في المجتمع العربي يمكن اعتباره "قضية مجتمعية" مهمة وملحّة، لأنه قد يضعف العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة. وفي مجتمع أقلية ذات قومية وعرقية مختلفة عن مجتمع الأكثرية يكون صراع الأجيال مهددًا للتضامن والتكافل الاجتماعي أكثر من أي مجتمع آخر، لأن هذه الأقلية تكون بأمس الحاجة إليه من أجل الحفاظ على كيانها ووجودها. الأقلية تكون بحاجة إلى تماسك وتكافل يحفظ لها كيانها وهويتها ويجعلها قادرة على التصدي والتحدي لتأثير الأكثرية عليها. المؤسسة الأولية والمهمة التي تواجه هذا الصراع تكون الأسرة، وهي بحاجة إلى تماسك، تكافل وتوافق اجتماعي وبحاجة إلى استقرار نفسي واقتصادي ومعنوي لكي تكون قادرة على الوقوف أمام كل التحديات التي تواجهها من مجتمع الأكثرية ومن المجتمعات والبيئات الأخرى المؤثرة عليها. السؤال المطروح هنا هو: هل يمكن اعتبار "صراع الأجيال" في الوسط العربي "قضية" تهدد مبنى ووظيفة الأسرة، أم أنها "ظاهرة" وظيفية متكيّفة مع تغيّر المجتمع؟

صراع الأجيال وطبيعة المجتمع

صراع الأجيال مصدره التغيرات السريعة في العناصر المادية والمعنوية في المجتمعات الحديثة. التغير الصناعي والتكنولوجي صحبه تغير بفلسفة الحياة وأنماط التفكير. حسب الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع فان التغير في حجم وشكل المجتمع مصحوب دائما بتغيير في المفاهيم وأساليب الحياة الجديدة من أجل أن يستطيع المجتمع التكيّف مع هذه التغيرات والحفاظ على التوازن وتحقيق الاستقرار. لذلك من الطبيعي أن تتغير شخصية الإنسان تبعا لما يدور حوله من تحولات وتطورات في شتى مجالات الحياة (الأحمر، 1981؛ Winnicot, 1965). وبما أن المجتمع مكوّن من أجيال مختلفة، كل حسب شاكلته، فمن المتوقع أن يكون هناك تصادم وخلاف وعدم اتفاق على مسائل ومواقف كثيرة بين هذه الأجيال. الصراع بين الأجيال ينحصر عادة في جيلين، جيل الآباء وجيل الأبناء، حيث يحمل كل جيل توقعات، وأفكار، مفاهيم، قيم ومبادئ للحياة غير التي يحملها الطرف الآخر. كل جيل له ظروفه التي نشأ فيها وتأثر منها، والمجتمعات متغيّرة بطبيعتها، مما يعني أن الظروف الحياتية التي عاشها جيل الآباء والأجداد تختلف عن تلك التي يعيشها جيل الأبناء اليوم. الصراع يكون بارزا وواضحا في مجتمعات متغيرة، وحدّة هذا الصراع تكون منوطة بمدى سرعة تغيّر هذا المجتمع.

المجتمعات الغربية تعاني من صراع أجيال حاد وشديد أكثر من المجتمعات البسيطة، لأن التغّير الاجتماعي فيها سريع (المصدر السابق).

المجتمعات البسيطة والبدائية لا تواجه أزمة أو قضية تدعى "صراع الأجيال". صراع الأجيال يعني "الخروج عن المألوف" لدى جيل الآباء والأجداد. في المجتمعات البسيطة وبحكم انعزالها عن المجتمع الحضري لا يتعرّف الشباب على أنماط حياتية جديدة ولا يتأثر من مفاهيم مغايرة لتلك التي نشأ عليها في مجتمعه. المجتمع يكون عادة منغلقًا على نفسه غير مطلع على حياة المجتمعات الأخرى ولا يحتك بها. الأبناء يرون فقط ما يريهم آبائهم ويكونون منشغلين مع الآباء لتوفير لقمة العيش وسترة الأسرة، فلا تدخل عليهم مؤثرات حضارية بقدر ما تدخل على أبناء المجتمعات المعقدة الحديثة.

من الصعب التحدث في هذه المجتمعات عن حياة مميّزة "لجيل المراهقة"، لأن الشاب والفتاة يتزوّجون في جيل مبكرة وسرعان ما يدخلون معترك الحياة المليء بالمسؤوليات والجد والعمل، مثلما يعيشها الآباء. لم تُسنح لهم الفرصة أن يعيشوا جيل المراهقة "بحرية" و"رفاه" ، مثل شباب المجتمع الحديث، لذلك لا يبقى أمامهم إلا الانصياع للقيم والمبادئ التي عرفوها وتربوا عليها، وعادة ما تكون نفس التي يريدها الآباء والأجداد.

المجتمعات الحديثة تعاني من صراع الأجيال ولا تعتبره "ظاهرة معيارية إيجابية". الآباء والأبناء يعانون من عدم الوفاق والتكافل في منهج الحياة ومنهج التفكير، فكثير من الأبناء في المجتمعات الحديثة يواجهون الآباء بحزم وشدّة في أمور شخصية كثيرة، وإذا ما انتصروا فإنهم ينزلقون إلى دائرة الانحراف والمخدرات وإلى عالم الإجرام في جيل مبكر، والآباء يعانون من عدم السيطرة على أبنائهم فيلجئون في النهاية إلى أسلوب "منح الحرية الكاملة" التي من خلالها يهربون من المواجهة العنيفة مع أبنائهم، أو أنهم ينزلقون أيضا إلى هاوية المخدرات والكحول هروبا من مواجهة الواقع المرير مع أبنائهم.

لم يعد المجتمع العربي في إسرائيل مجتمعا بسيطا، وإنما أصبح يعد من المجتمعات الانتقالية ما بين الحداثة والتقليدية. صراع الأجيال في الأسرة العربية في إسرائيل هو جزء لا يتجزأ من المشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي اليوم بصفته مجتمعًا يتجه إلى الحداثة.

فبدل أن تتحسن علاقة الآباء بالأبناء بسبب تحسّن المستوى التعليمي والثقافي، أخذت تتوتر وتنشأ عنها صراعات وأزمات حقيقية يعاني منها الآباء اليوم، كما هو الحال في المجتمعات الحديثة. الآباء اليوم يتذمرّون من عصيان الأبناء لهم حتى في جيل الطفولة ويظنون أحيانا أنهم قد فقدوا السيطرة عليهم (ربيع 2005).

سلوكيات كثير من الأبناء ورؤيتهم للحياة الحديثة لا تلاقي حماسا وآذانا صاغية عند الآباء مما ينتج عنه صراع بين الجيلين (المصدر السبق). ظواهر اللامعيارية أصبحت شائعة عند الجيل الجديد ولم تكن عند جيل الآباء. عقوق الوالدين، الاختلاف في الملبس، المظهر وأسلوب الحياة أصبحت منتشرة. لم يعد الآباء يسيطرون أو يؤثرون على طريقة حياة أبناءهم وبناتهم، لأن المجتمع المتغيّر أصبح أقوى منهم والتحدي الحضاري يقف لهم ولأبنائهم بالمرصاد. لقد نشأ في العائلة العربية ما يمكن تسميته "باللامبالاة التربوية" وذلك "إفلاس" الآباء في السيطرة التربوية وفقدان الضوابط الاجتماعية اللازمة عليهم (المصدر السابق). هذه الظاهرة توحي بأن المجتمع العربي لم يعد مجتمعا تقليديا يسيطر فيه الآباء على الأبناء. مثل هذا الصراع يشير إلى خطورة تكمن في عدم تكيّف الأسرة وضعفها وهوانها أمام المشاكل التي تواجهها، فيصبح ثمن الحداثة باهظا، حيث تتمزق الأواصر بين أفراد الأسرة وتندلع المشاكل والنزاعات، فتكبر الفجوة بين عالم الآباء وعالم الأبناء.

الأسباب المسئولة عن صراع الأجيال في الوسط العربي

يمكن إرجاع صراع الأجيال في الأسرة العربية إلى عاملين أساسيين:

العامل الأول هو شدّة التأثر الحضاري التي تخضع له الأسرة العربية في إسرائيل والذي يجعل المفاهيم والمبادئ الغريبة تؤثر على أبناء الجيل الجديد بشكل سريع (الشباب كأساس للصراع).

العامل الثاني هو إعطاء الأبناء الحرية في اختيار أسلوب حياتهم وتفكيرهم باعتبارهم جيلا حديثا لا بد له أن يتكيّف مع روح العصر (الآباء كأساس للصراع).

هذان العاملان يشتركان معا في تحديد الصراع بين الآباء والأبناء، إذ أن لكل منهما دور في إشعال هذا الصراع وحدّته. فمن جهة، يتصارع الأبناء مع الآباء في إدخال مفاهيم جديدة في

حياتهم باعتبارهم جيلا حديثا يتمشى مع الركب الحضاري والحرية الشخصية المتاحة له في التفكير والسلوك، ومن جهة أخرى يسعى الآباء إلى بذل قصارى جهدهم على أن يكون أبنائهم مواكبين لمتغيرات العصر وبالتالي يحدث التصادم والصراع في كثير من المواقف والحالات التي لا يتفق عليها الطرفان. تحديد السلوك الصحيح والحسن عند الآباء يمكن أن يتناقض أو أن يتنافى معه عند الأبناء، فيحدث الصراع (Strang, 1967). على سبيل المثال، الأب "العصري" يتوقع ويريد من ابنه أن يصلّي ويصوم ويتعلم الحاسوب ويحترم الناس ويطيع معلميه ويكون مثقفا وواعيا لما يدور حوله في المجتمع، الابن لا يقبل مثلا بكل هذه الأشياء ويفسر بعضها حسب ما يراه هو مناسبا، فمثلا لا يرى في الصلاة والصوم ضرورة للاستقامة في الحياة العصرية والبنت لا ترى في لبس الحجاب شرط للعفة والأخلاق، أما الحاسوب فيكون مقبولا ولكن كيفية استخدامه في الحياة يختلف عن توقعات الآباء. غالبية أبناء اليهود والعرب يستخدمون الانترنت ليس لغايات تعليمية وتثقيفية وإنما للألعاب والترفيه، مثل "التواصل عبر برامج التشات والماسنجر" والمواقع الغنائية وما شابه ذلك، مما يؤدي إلى مواجهة وصراع مع الآباء أكثر مما يقربهم بعضهم ببعض (Mensh, 2003)، واحترام الناس يكون مقبولا على الأبناء لكن ليس بالشكل الذي يريده الآباء، فرفع الرجلين على الطاولة عند حضور الضيوف قد يكون سلوكًا عاديًا بالنسبة للأبناء ولا يعني عدم احترام الضيف. الجيل الجديد لا يستطيع أن يميز أهمية العلاقات الاجتماعية في بداية مشوار حياته، فكثرا ما يزن الأمور بشكل غير موضوعي أو عاقل، بحيث يتذمر الآباء أحيانا لتصرفات أبنائهم غير اللائقة أو غير الاجتماعية عند استقبال ضيوف في البيت وما شابه ذلك. الوعي الاجتماعي يكون عند الجيل الجديد غير مكتمل تماما مما يسبب المتاعب للآباء في كثير من الأحيان. علم النفس يخصص تخصصا كاملا وواسعا لجيل المراهقة الذي يسمى أيضا "بجيل التجارب" أو "جيل تكوين الشخصية" الذي من صفاته عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي.

لا زالت الحمولة والعشيرة لها مكانتها ودورها في حياة المجتمع العربي، لكن العائلة النواة أصبحت هي التي تحدد طبيعة العلاقات بين الأزواج وبين الآباء والأبناء. فقد الأب العربي شيئا فشيئا نفوذه الأبوي داخل الأسرة النواة وأصبح اتخاذ القرار يرجع في كثير من العائلات إلى الزوجين معا، والعلاقة مع الأبناء تتميز بطابع "صراع الأجيال"، إذ يتضح من أحد الأبحاث أن

هناك فوارق كثيرة بين الآباء والأبناء في الأسرة النواة العربية في مجالات عديدة، فقد وجد البحث أن الفروق موجودة في مستوى التعليم والثقافة، طبيعة العمل، العلاقات بين الزوجين والتعارف بينهم قبل الزواج (Antonovsky et.al, 1975).

من ناحية أخرى، معظم العائلات العربية قليلة الدخل بسبب تدني أجور العمال العرب، وبسبب عدم مشاركة المرأة دائما في مجالات العمل والبطالة المنتشرة في المجتمع، أدى ذلك إلى أن يكون من الصعب عليها تحقيق الرغبات وتوفير المستلزمات الضرورية والكمالية لأبنائها، مما قد يجعل الأبناء "حاقدين" على آبائهم لعجزهم توفير ما يرغبون، فيصبحون بأعينهم "فاشلين".

خصائص صراع الأجيال في الأسرة العربية

صراع الأجيال يعتبر محفّزا مهما للتغيّر الاجتماعي لأنه شكل من أشكال التغير الذي يؤدي بالمجتمع إلى حالات جديدة وحديثة. انعدام ظاهرة "صراع الأجيال" تشير إلى الاستقرار وعدم التغير، ويشير إلى أن الجيل الجديد من الشباب يكون متعلّقا بالجيل القديم وما يمليه عليه من قيم ومعايير متكررة من الأجيال التي سبقته، والمجتمع العربي محتاج إلى التجديد والتحديث في النظم لكي يستطيع اللحاق بالركب الحضاري، إلا أن طبيعة الصراع القائم حاليا بين الأجيال لا يؤدي بالضرورة إلى تغيّر ايجابي، لأنه يهدد التكافل الاجتماعي داخل الأسرة والمجتمع أكثر مما يخدمه. في نفس الوقت لا بد وأن يكون لهذا الصراع نواح الايجابية في تغيير واقع المجتمع ليتكيف مع الحاضر والجيل الجديد. الشّاب العربي كان في الماضي اتكاليًا في إدارة أمور حياته، فالأب هو الذي كان يقرر له أسلوب الحياة ويختار له شريكة حياته ويجعله بموقع المنفّذ لأوامره وأوامر من هو أكبر منه سنّا (רוזנפלד, 1962؛ גינת, ؛ ربيع، 2004).

تشير الأبحاث اليوم أن الأبوين في الأسرة العربية الحديثة لا زالوا يمارسون السيطرة والسلطوية على البنات وعلى الأبناء، النتيجة هي أن البنات تعاني من اضطرابات في الهوية، خوف واكتئاب، والأبناء يعانون من اضطرابات في السلوك. موقف الأبناء من الآباء السلطويين هو سلبي وينعكس في تدني التصوّر الذاتي، الخوف وكثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية الأخرى لديهم (Dwairy, 2004).

لا زال الأب العربي يريد أن يُخضع أبناءه تحت سيطرته ويسيّرهم حسب أوامره، فيجعلهم اتكاليين إلى أبعد الحدود. الاتكالية لا تؤدي إلى تغيير واقتحام المألوف وتجديد النظم والعادات والقيم في المجتمع (شرابي، 1984). الأب المثالي في نظر الشباب العرب، هو الذي يذهب إلى العمل، يمارس السيطرة على أبنائه ويجيد تربيتهم، ويكون مصدر القوة والقرار في الأسرة، والذي لا يتعامل مع العنف والمخدرات، ويكون بمثابة المربي والموجّه لهم (סירפי, 1997). هذه الصفات الأبوية المحبذة لدى الشبيبة العرب في القرى والمدن العربية، تعكس أولا: التوجه الحديث والحضاري لهؤلاء الشبيبة وكيف يتوقعون أن يكون الآباء العصريين، وثانيا: التعلق بالآباء والانصياع لهم كما عوّدتهم التربية بشكل عام، ألا يقتحموا السلطة وصاحب النفوذ.

من أجل مجتمع متحضر ومتكيّف لا بد لصراع الأجيال أن يكون على الأقل منظما ومنضبطا لكي يؤدي الوظيفة التي جاء من أجلها. بمعنى أن يعي الآباء والأبناء أن عليهم التنازل عن بعض مواقفهم وأن يسيروا في الحكم على المواقف والأشياء من منطلق العقلانية والحكمة، لكي يستفيدوا من ذلك قدر الإمكان. إلا أن أبناء الجيل الجديد يكونون عادة مصحوبين بالعاطفية وخاضعين أكثر للتفكير الميتافيزيقي الذي يتصف بالخيال و"العشوائية" (الجسماني، 1994). لو كان الطرفان يحكمان على المواقف والأشياء من منطلق العقلانية والمنطق لما كان هناك أصلا ما يسمى بصراع الأجيال. المقصود هنا هو أن يتنازل الآباء في بعض الحالات عن بعض عقلانيتهم من أجل التوافق مع الأبناء والعكس صحيح عند جيل الأبناء. فإذا الصراع لم يخدم مصلحة الأسرة أولا والمجتمع ثانيا، فان نتائجه سوف تكون سيئة للأسرة وللمجتمع على حد سواء (المصدر السابق).

أحد الأبحاث يقول، أن الشبيبة العرب يشعرون أنهم قريبون إلى آبائهم وأن في بيوتهم معايير وضوابط تحد من سلوكياتهم، إذ يكونون مراقبين ومنضبطين أكثر من الشبيبة اليهود. الضوابط بالنسبة للفتيات وخصوصا خروجهن من البيت وقضاء وقت الفراغ أشد وأقوى منها بالنسبة للشباب. الشبيبة العرب يرون أن تقسيم القوى داخل الأسرة (بين الأب والأم) أكثر تقليديًا أي رجوليًا بعكس اليهود الأشكناز الذين يرون توزيع القوى بالتساوي بين كلا الجنسين. هذه المواقف تدل على أن الشبيبة العرب لا يزالون متأثرين من المبنى الاجتماعي الجماعي

(العائلي) بينما الشبيبة اليهود متأثرين من المبنى الاجتماعي المتميّز بالفردية Mikulincer et al., 1993).

إن إطلاق العنان كاملا للأبناء لا يؤدي إلا إلى تعميق الفجوة بين عالم الآباء وعالم الأبناء. في المجتمعات الغربية وفي المجتمع اليهودي الأشكنازي تنعدم الصلة أحيانا بين الآباء والأبناء والعلاقة بين الطرفين تكون مجرد علاقة لا يوجد فيها قواسم مشتركة، لأن كل واحد من الطرفين له عالم آخر يعيشه بعزلة وعدم ارتباط وتوافق مع الآخر، لذلك تكثر المشاكل الاجتماعية عند الشباب وخصوصا حالات الانتحار والمشاكل النفسية الأخرى. أما في الأسرة العربية لا زال هناك تواصل وضبط وارتباط بين جيل الآباء وجيل الأبناء رغم ازدياد حدة الصراع بينهما في العصر الحاضر (المصدر السابق). لقد أجري بحث على أبناء الشبيبة في يافا، ووجد أن العلاقات الجيدة مع الأبناء والقرب العاطفي والتفاهم المشترك بينهم يقلل من الانحراف الاجتماعي وحالات الإجرام عندهم (חילו, 1991). هذا دليل على أن الأسرة يجب أن تبتعد عن المواجهة والصراع وتتقرب من المراهق عاطفيا واجتماعيا من أجل الحفاظ على التوازن الاجتماعي والعاطفي عنده.

يفتقر المجتمع العربي إلى التوجيه والإرشاد المهني المنظم والرسمي للآباء والأبناء بخصوص صراع الأجيال. سوء التعامل مع ظاهرة "صراع الأجيال" يبقى مشحون بالعاطفية، وقد يؤدي إلى أزمة حقيقية من شأنها أن تزيد من الأزمات داخل الأسرة والمجتمع بدل أن تحقق لهما التكافل والتقدم.

أشكال وطبيعة صراع الأجيال في الأسرة العربية

عرف المجتمع العربي انفتاحا كبيرا على المجتمع الحديث جراء تواجده واحتكاكه المباشر واليومي مع المجتمع اليهودي والغربي. التربية الحديثة أصبحت شيئا فشيئا أكثر ديموقراطية ولبرالية بحيث أُعطي الجيل الجديد الحرية في تنمية الاتجاهات والمهارات الاجتماعية والعاطفية. أصبحت التربية الحديثة في كثير من الأسر العربية "المثقفة" تنشئ الأبناء على حرية اتخاذ القرار وتنمية الهوايات والاختيار الحر للمهنة وطريق المستقبل. الانفتاح في التربية وأسلوب

الحياة الحضاري هيأ الظروف للاستقلال العاطفي عند الجيل الجديد، لكن هذا الانفتاح ليس موجها وفق عادات وتقاليد المجتمع ووفق تعاليم الدين الحنيف.

فمثلا أصبح المراهقون في المرحلة ما بعد الابتدائية، بحكم التعليم المختلط في المدارس، يجلسون سوية على مقاعد الدراسة وفي المكتبات وغيرها، ومنهم من أخذ يبني علاقات عاطفية مع أبناء الجنس الآخر حتى بعلم ومعرفة الأهل. التوعية والتوجيه لأبناء هذا الجيل على خطورة هذه العلاقات العاطفية المبكرة، تثير الرفض والنفور عند المراهقين فينتج عن ذلك صراع ومشاكل في العلاقات والثقة بينهم وبين الآباء. لا زال المجتمع العربي متحفظا من خوض تجارب عاطفية علنية ومباشرة مع الجنس الآخر، لذلك يواجه كثير من المراهقين برفض واستنكار لهذه التجربة، فتثير لديهم الغضب وتجعلهم يرون بجيل الآباء جيلا متخلفا وتقليديا وغير متحضر. ولأن الأبناء لم تتم تربيتهم في الأسرة على الانفتاح العاطفي تجاه الجنس الآخر، تصبح التجربة شخصية غير موجهة في جيل المراهقة، مما يثير الارتباك عند الآباء والأبناء في كيفية التعامل مع الظرف الجديد. الآباء العاملون المنهمكون في مجال عملهم لا يجدون دائما الوقت الكافي لمتابعة وتنمية الجوانب العاطفية لأبنائهم، فتصبح فيما بعد فجوة ما بين مشاعر وعواطف الأبناء وبين التي يتوقعها منهم الآباء (ربيع، 2005). المجتمع هو المسؤول الأول عن هذه القضية، لأنه سمح بالتعليم المختلط في مجتمع تقليدي محافظ دون تهيئة الظروف الاجتماعية والتربوية اللازمة لذلك. لذلك وجد الآباء أنفسهم أمام واقع لم يألفوه من قبل، فسبب عندهم وعند أبنائهم الارتباك في التعامل مع هذه الظروف الجديدة.

لا زالت الأسرة العربية رغم التغير الكبير الذي طرأ على القيم والعادات والتقاليد ترفض العلاقات العاطفية بين الجنسين خارج الإطار الشرعي. التحفظ لا زال مفروضًا على الفتيات أكثر من الشباب باعتبار البنت رمز "شرف العائلة". في مثل هذه المواقف يتضح التناقض الذي تعيشه الأسرة العربية في العصر الحديث. من جهة فإنها تنشي أبناءها على الانفتاح والحرية وفي نفس الوقت تفرض عليهم (خصوصا على البنات) التقيّد بعادات وسلوكيات عكس ذلك. البنت تستطيع مثلا أن تدرس في الجامعات وأن تتبرج وتلبس اللباس غير المحتشم وتمتلك سيارة وهاتف خلوي وتبيت خارج البيت (في مساكن الطلبة)، لكن يكون محظورًا عليها ربط أية علاقات عاطفية غير شرعية مع الجنس الآخر. هذه التناقضات تثير حفيظة هذا الجيل وتجعله

يتمرد ويثور أحيانا على مثل هذه التناقضات التي لا يراها منطقية والتي تقيّده في أسلوب حياته الحر الذي يعيشه.

لكن الصراع العاطفي لا ينحصر على مثل هذا النوع من العلاقات بين الجنسين وإنما يمتد ليصل إلى داخل الأسرة نفسها ويخلق أزمة بين أفراد الأسرة أنفسهم. الأسرة العربية تعوّدت بسبب طابعها الأبوي عبر التاريخ أن تُفضّل الولد على البنت، في التعليم، المعاملة، الحرية الشخصية، المحبة...الخ، مما يجعل البنات غير راضيات عن اللامساواة الاجتماعية في البيت، ففي كثير من العائلات لا يتم توزيع الموارد بين الأولاد والبنات بالعدل (חורש, 1982)، فمثلا، يشتري الأب لأبنه حاسوبا أو آلة موسيقية وليس لابنته، صاحب حق الأولوية يكون الولد ومن ثم تكون البنت التي تستطيع أيضا أن تستعمل الحاسوب أو الآلة الموسيقية التي اشتراها الأب لابنه. أو أن الولد يدخل دورات غير منهجية (رياضة، فنون...) ولا تحصل البنت على شيء من هذا. وهناك أيضا العائلات التي تفضل تعليم الابن على تعليم البنت بعد إنهاء المدرسة الثانوية (المصدر السابق). والأسرة العربية، رغم انفتاحها ومرونتها، لا زالت تتدخل وتُؤثر على زواج البنت أكثر من زواج الابن، مما يخلق التوتر والصراع العاطفي بين الجيلين. مثل هذه اللامساواة بين الأبناء والبنات يخلق توترا وصراعا بين البنات وآبائهن. لكن يجب التنويه إلى أن هذه الحالات لا تنطبق على كل العائلات العربية فهناك عائلات تساوي بين الجنسين وتحرص على المعاملة المعتدلة بين الولد والبنت في كل المواقف وكل الحالات. فكثير من العائلات العربية تفتخر بأبنائها المتفوقين والأذكياء كانوا أولادا أو بناتا وتحرص على تقديم كل الإمكانيات والوسائل لنجاحهم وتقدمهم. (עבדאלקאדר יחיא, 1995).

اتجاهات فكرية وإيديولوجية جديدة دخلت المجتمع العربي والأسرة العربية عبر وسائل الإعلام والمناهج المدرسية وعن طريق الاحتكاك المباشر وغير المباشر مع الثقافات الأخرى. من المعروف أن الجيل القديم له اتجاهاته ومفاهيمه الفكرية والمبدئية التي من الصعب تغييرها لأنه ترعرع عليها ونشأ في ضوئها. الجيل الجديد دائما يتأثر بالمبادئ الجديدة التي تحيطه لأنه يتعلمها ويشعر بها أينما تواجد. المبادئ الديمقراطية الحديثة وأنماط الحياة اليومية من سلوكيات وأفكار ومفاهيم حديثة برجماتية وفلسفية أخرى يحملها أبناء الجيل الجديد في المجتمع العربي. وكما هو معروف أن الاختلاف في المبادئ بين أية فئتين كانتا سوف يُؤدي حتما إلى صراع

بينهما. الآباء العرب لا يتفقون دائما على الأفكار التحررية والأنماط السلوكية الحديثة للأبناء ويعتبرونها شاذة وغير ملائمة لمبادئ المجتمع العربي التي عرفوها من آباءهم وأجدادهم. فمثلا هناك اختلاف بين كلا الجيلين على كيفية التعامل مع المعايير العائلية (الحمائلية)، مثل الانصياع الأعمى في الانتخابات المحلية لرأي الحمولة، كيفية التعامل مع الجنس الآخر، التصرفات والسلوكيات في الأفراح والأتراح...، استغلال أوقات الفراغ والترفيه، أنواع اللباس وقص الشعر، جيل الزواج، الاختلاف حول قيم اجتماعية ثابتة كقيمة "الشرف" و"احترام الكبير"... الخ. مثل هذه الأشياء التي لا يسع هذه الدراسة أن تتحدث عنها هنا بإسهاب وتفصيل، فهي تجعل الأسرة العربية تتخبط بين محافظتها على مبادئها الثقافية المألوفة وبين تعاملها مع المبادئ الثقافية الجديدة التي يتبناها الجيل الجديد.

وأخيرا يمكن تلخيص صراع الأجيال في المجتمع العربي على أنه ظاهرة حتمية في ضوء التغيرات التي يخضع لها هذا المجتمع. ويمكن أن يُنظر إلى هذه الظاهرة من زاويتين مختلفتين، الأولى، على أنها ضرورية وحيوية لتجديد وتحديث نظم المجتمع، والثانية، على أنها مشكلة تهدد بناء ووظائف الأسرة، إلا إذا ما تداركتها الأسرة وأحسنت التعامل معها بالشكل الصحيح لتفادي الصراع والمواجهة. الأسرة العربية متكيّفة وتستطيع الصمود أمام التحديات التي تواجهها، مثل قضية "صراع الأجيال، البرهان على ذلك هو طيب العلاقات الاجتماعية السائدة بين الآباء والأبناء رغم الخلافات والتناقضات فيما بينهم. لكن من ناحية أخرى يمكن فهم صراع الأجيال على أنه شكل من أشكال الصراع الاجتماعي والحضاري الذي يجتاح المجتمع العربي عامة والأسرة خاصة، هذا الصراع من شأنه إضعاف الأواصر الاجتماعية وتهديد وظائف الأسرة التي تعود عليها بالمشاكل والأزمات. صراع الأجيال في المجتمع العربي هو شكل من أشكال التغيرات الاجتماعية التي يحاول المجتمع أن يجد لها المعادلة الصحيحة للتعامل معها، خصوصا وأنه مجتمع أقلية لا يسمح للصراع أن يقوّض بنيانه.

بغض النظر عما إذا كان الصراع سلبيًا أم إيجابيًا، فان "هذه القضية" باتت "قضية مجتمعية" ملحة وحرجة تحتاج إلى تأمل بل والى أبحاث جدّية في هذا المجال. لا بد من تأمل ومن دراسة عميقة لقضية "صراع الأجيال" في الأسرة العربية من أجل التعرف على نواحيها الاجتماعية، وانعكاساتها النفسية والحضارية بشكل أوفى وبشكل جيد.

المراجع:

ربيع، حمد الله (2004). الحمولة العربية في إسرائيل – بين التقليدية والحداثة. إصدار مسار: معهد أبحاث وتخطيط واستشارة تربوية: جت المثلث

ربيع، حمد الله (2005). الفوضى التربوية في الوسط العربي – مسؤولية الأسرة والمجتمع. إصدار أكاديمية ألقاسمي، باقة الغربية

الأحمر، سالم احمد. (1981). "مشاكل الشباب في مجتمع متغير، تحليل اجتماعي". الفكر العربي، شباط 19، ص 156–169

شرابي، هشام (1984). مقدمات في دراسة المجتمع العربي. بيروت

גינת, י. (1976). תמורות במבנה המשפחה בכפר הערבי. סקירה מס׳ 3, תל אביב

חורש, ג. (1982). דפוסי קשר בין הורים וילדים בחברה הערבית בישראל. האוניברסיטה העברית: בית ספר לחינוך

חלו, נ. (1991). השפעת הסביבה, המשפחה והחברים על עבריינות נוער ביפו. אוניברסיטת תל אביב: בית ספר לעבודה סוציאלית

סירפי, י. (1997). דימוי ההורה הטוב בעיני מתבגרים ערבים והוריהם בכפר ובעיר. אוניברסיטת תל אביב: בית ספר לחינוך

עבדאקאדר יחיא (1995). היחסים במשפחה הערבית כלפי הילד המחונן. אוניברסיטת תל אביב: בית ספר לחינוך

רוזנפלד, ה. (1964). הם היו פלאחים. תל אביב

Mikulincer, M.; Weller, A; Florian, V. (1993). "Sense of closeness to parents and family Rules: A study of Arab Jewish Youth in Israel. Int. J. of Psychology 28<3>: 323-335

Dwairy, M. (2004). "Parenting styls and mental Health of Palestinian-Arab Adolescents in Israel", Transcultural Psychiatry, 41<2>, 233-252

Mensh, G. (2003). "The Family and the Internet: The Israeli Case". Social Science Quarterly, 84 <4>, 1038-1050

Antonovsky, H.; Meria, M.; Blanc, J. (1975). Patterns of Socialization in an Arab Village. Jerusalem: Institute of Applied Social Research

Strang, R. (1967). The Adolescence Views Himself. New York

Winnicot, D.W. (1965). The Child, the family, and the outside World. Penguin ed.

Isaacs, S. (1960). Problems of Parents and Children. London

תקציר:

מהתופעות הבולטות בחברה הערבית בישראל היום, היא תופעת "הקונפלקט בין הדורות". תופעה זו נמצאת בכל החברות בעולם, אבל היא מתאפיינת בטבעה ובמהותה של כל חברה ותרבות ואיך היא משפיעה על מערכת היחסים בין ההורים לבנים.. יש לסוג ולמהות הקונפלקט מאפיינים שמשתנים בין חברה לחברה בהתאם לתנאי החיים של כל אחת מהן, למבנה החברתי של המשפחה, לערכים ונורמות ולתפיסות חיים שהוא מאמין בהם והולך לפיהן. לכן יש להבין את קונפלקט הדורות בכל חברה וחברה באופן ייחודי כדי לחדד ולהגדיר את סוג ואופי הקונלקט שמאפיין אותה. המשפחה הערבית בישראל עוברת בשנים האחרונות שינויים דרסטיים ומהותיים אשר השפיעו על תפקידיה יום אחרי יום. הפער בין עולמם של ההורים לעולמם של הבנים הולך וגדל מבחינה מחשבתית, אדיולוגית ורגשית. השאלה שמנסה המאמר הזה לענות עליה היא: האם אפשר לראות בקטנפלקט הדורות בחברה הערבית בישראל כסכנה למבנה ולתפקיד המשפחה, או שהוא "תופעה" (פיקציונליסטית) מסתגלת לשינוי החברתי?